الاتجـــاه الفكـــري السنـــي والخلفـــاء الراشديـــن

أ. هادي بن قاعد بن هادي الحبردي•

الملخـــص

تناول البحث الاتجاه الفكري السُّنِّي ودوره في الحركة الفكرية، يهدف البحث إلى التعريف مصطلح "السُّنَّة والجماعة"لغةً واصطلاحًا، ويتناول أيضاً ظهور ونشأة التحولات التي مَرَّ بها الاتجاه الفكري السُّنِّي، ثم يُعَرِّجُ البحث على بيان موقف أهل السُّنَّة والجماعة من الخلفاء ، اتبع الباحث المنهج الوصفي التاريخي، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث: سبب تسمية أهل السُّنَّة والجماعة بهذا الاسم، يظهر مما تقدم ذكره في هذا البحث، أنهم سموا بذلك لإتباعهم آثار النبي (صلى الله عليه وسلم) والاجتماع على الأخذ بها ظاهرًا وباطنًا، قولاً، وعملاً، واعتقاداً، وإتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار. كذلك يظهر جلياً موقف أهل السُّنَّة والجماعة من الخلفاء الراشدين، فقد كان موقف إعزاز وإجلال، وقد أنزلوهم منازلهم، وجعلوا من حبهم قربة إلى الله، وهذا رغم وجود مسألة خلافية بين عثمان وعليٍّ ﷺ. ومن أهم التوصيات : الاقتداء بالخلفاء الراشدين ، كذلك مناهضة الاتجاهات الفكرية المنحرفة .

كلمات مفتاحية:

الاتجاه ـ الفكري ـ السُّنَّة ـ الجماعة ـ الخلفاء الراشدين.

• طالب دكتوراة – قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية.

Abstract

The research dealt with the Sunni intellectual trend and its role in the intellectual movement. The research aims to define the term «Sunnah and the Community» in language and idiomatically, and also deals with the emergence and emergence of the transformations that the Sunni intellectual trend has undergone. And one of the most important results that the researcher reached: The reason for naming Ahl al-Sunnah wal-Jamaa'ah with this name. It appears from the foregoing in this research that they named it because of their following the traces of the Prophet, peace be upon him, and meeting to adopt it outwardly and inwardly, in word, deed, and belief, and following the path of the first predecessors from Emigrants and Ansar. The position of Ahl al-Sunnah wa al-Jama`ah towards the Rightly-Guided Caliphs is also evident, as it was the position of pride and veneration, and they brought them down their homes, and made their love a closeness to God, despite the existence of a controversial issue between Uthman and Ali. Among the most important recommendations: following the example of the Rightly Guided Caliphs, as well as combating deviant intellectual trends.

Keywords:

The intellectual trend, the Sunnah, the community, the Rightly Guided Caliphs.

مقدمـــة

حمدًا لله سبحانه وشكرًا له على نعمه وآلائه التي لا تعد ولا تحصى، وصلاةً وسلامًا على خاتم أنبيائه النبي الأمي سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أفضل صلاة وأتم تسليم.

ثم أما بعد...

أُرْسِلَ الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بالدين الإسلامي الحنيف، فوحَّد بين المسلمين وكانوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا ،ولكن بعد وفاته (صلى الله عليه وسلم)، حدثت قضية سياسية جديدة على العرب، وأيضًا ظهرت الفتن، في نهاية عصر الخلفاء الراشدين، وقد تشكلت الميول الفكرية بعد تلك الفترة، وكان لكل تيار فكري منهجه ومنطلقه الفكري، ومسألة الخلافة كانت من أبرز تلك الموضوعات التي كان لكل تيار فكري موقف منها. وبطبيعة الحال واستخلاصًا مما سبق، كان لزامًا أن يتميز الذين اتبعوا المنهج النبوي عن غيرهم، ولهذا السبب تم إطلاق مصطلح أهل السُّنَّة والجماعة عليهم.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التعريف مصطلح "السُّنَّة والجماعة"لغةً واصطلاحًا، ويتناول أيضًا ظهور ونشأةالتحولات التي مَرَّ بها الاتجاه الفكري السُّنِّي، ثم يُعَرِّجُ البحث على بيان موقف أهل السُّنَّة والجماعة من الخلفاء.

منهجية البحث:

اتبع الباحث هو المنهج الوصفي التاريخي.

تنظيم البحث:

تم تقسيم البحث إلى سبعة مباحث:

المبحث الأول: **مفهوم الاتجاه الفكري.**

المبحث الثاني: **التعريف بالاتجاه السني**

المبحث الثالث: **نشأة وتحولات المذهب السني**

المبحث الرابع: **موقف أهل السنة من تنصيب الإمام**

المبحث الخامس: **هل عين الرسول صلى الله عليه وسلم خليفة من بعده**

المبحث السادس: **يبين العلاقات الاجتماعية بيم الخلفاء الراشدين وآل البيت (رضي الله عنهم).**

المبحث السابع: **موقف أصحاب هذا الاتجاه من الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم).**

خاتمة.

المبحث الأول

مفهوم الاتجاه الفكري

مرّ عصر الخلافة الراشدة بأحداث جِسام، كان لها دورٌ مفصلي في إحداث تحوّلات جذرية كانت من الأسباب المباشرة في نشأة الاتجاهات الفكرية وتعدّدها، ومنذ ذلك العهد بدأ علماء المسلمين يُؤلّفون في الاتجاهات الفكرية، ويُبيّنون كثيرًا من تفاصيلها، وطبيعة نشأتها، وما قامت عليه من رؤى.

الاتجاهات:

جمع، مفرده: اتجاه، ويُطلق ويُراد به: "القصد والاتباع"، وتضمّنت آيات القرآن الكريم بعض دلالات الاتجاه وهو: الوجه، من ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ [الروم: ٤٣]، وقيل: الوجه هو المقصد والمذهب(١).

الفكرية:

الفِكر يُطلق ويُراد به إعمال العقل في التفكّر والتأمل، والفكرية مفرد وهو اسم مؤنث(٢)، وقد ورد استعمال هذه المصطلح في عصور إسلامية متقدِّمة، وكان الزهّاد في البصرة يُسمّون بالفكرية(٣)، ويكثر اقترانها بغيرها من الألفاظ، ومن ذلك: المذاهب الفكرية(٤)، والحركة الفكرية(٥).

أما "الاتجاهات الفكرية" فلها تعريفات اصطلاحية معاصرة متعددة، منها أنها: "مجموعة من الفلاسفة والفنانين والكُتّاب الذين تعكس أفكارهم وأعمالهم وأساليبهم أصلاً مشتركاً، أو تأثيراً، أو اعتقاداً"(٦).

(١) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ٤: ٢٨٧.
(٢) الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ٢: ٧٨٣؛ عبد الحميد، بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣: ١٧٣٤.
(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٠: ٣٦٨.
(٤) ابن جماعة، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، ٥٦.
(٥) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ١: ١٢٣.
(٦) عبدالحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، ٣: ١٧٣٤.

وتُعرَّف أيضًا بأنها: "الاتّجاه، أو المذهب، أو المدرسة الفكرية التي تضم العديد من الأشخاص الذين تجمعهم أصولٌ يتفقون فيها، ومنطلقات ينطلقون منها، وغايات يرومون تحقيقها، وذلك دون أن يكونوا متماثلين؛ فهم يتشابهون في المناهج، ويتمايزون في ترتيب أولويات القضايا والمهام، وفي درجات ميادين الإصلاح والدراسة، وفي الأسلوب، ومستوى الخطاب، ونوع الجمهور"(١).

وعُرِّفت كذلك بأنها: "مجموعة الآراء، والأفكار، والنظرات، والمباحث، التي تشيع في عمل فكري، بصورة أوضح من غيرها، وتكون غالبة على سواها، ويحكمها إطار نظري أو فكرة كلية تعكس بصدق الثقافة التي تأثر بها الشخص وتلوّن بها"(٢).

(١) أسود، الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية في مصر والشام، ٢٥.
(٢) بانافع، "اتجاهات كتابة السيرة النبوية في العراق خلال القرن الرابع عشر الهجري"، ١٧٩.

المبحث الثاني

الاتجاه السني

إن المطالع للأحداث التاريخية يجد أن للاتجاه الفكري السُّنِّي أهمية قصوى بالنسبة لتطور الفكر الإسلامي عبر القرون الإسلامية المتعاقبة، وتتمثل تلك الأهمية في التأليف والتدريس؛ وبناء على ذلك ظهر عدد من العلماء في تخصصات عديدة، ومن هذا المنطلق تبرز بعض الأسئلة لابد لها من إجابات: مَن هم أهل السُّنَّة، ولماذا سموا بهذا الاسم؟ ومتى أطلقعليهمهذاالاسم؟وماموقفهممنالخلافةالراشدة؟

هو عبارة عن مفردتين: السُّنَّة، والجماعة، وبسط العلماء في تعريفهما.

وينقسم هذا المصطلح إلى مفردتين: السُّنَّة والجماعة، وقد بسط العلماء القول في تعريفهما.

السُّنَّة: تأتي بمعانٍ عديدة، ومنها المعاني:

١ـ الطريقة، والاقتداء، والابتداع:ومنه ما جاء في الحديث الشريف، أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:«مَنْ سَنَّ في الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[1]، وحَرِيٌّ أن نلاحظ ورود ثلاثة معانٍ للسُّنَّة في هذا الحديث:

المعنى الأول: الطريقة في قوله (صلى الله عليه وسلم): «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً حَسَنَةً».

والمعنى الثاني: الاقتداء وجاء في قوله (صلى الله عليه وسلم): «فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ».

(١) مسلم، الصحيح، ص٣٥٦ ـ ٣٥٧، ح ٢٣٥١.

والمعنى الثالث والأخير: البدعة، وجاء هذا المعنى في قوله (صلى الله عليه وسلم): «وَمَنْ سَنَّ في الْإِسْلَام سُنَّةً سَيِّئَةً».

٢ـ البيان: قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب: ٦٢]، نصب "سنة" على إرادة الفعل، أي: سنن الله ذلك بمعنى بينه(١).

٣ـ العادة الثابتة: قال الله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٧]، ومعناه: أن ما أجرى الله تعالى به العادة لم يتهيأ لأحد أن يقلب تلك العادة، فهي ثابتة(٢).

٤ـ السُّنَّة في العلوم الشرعية: يتم إطلاق مصطلح السُّنَّة على كل ما أضيف إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قول، أو فعل، أو تقرير، إذن فهي مرادفة للحديث عند علماء الأصول، وهي أيضا أعم منه عند من خص الحديث بما أضيف إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من قول فقط(٣).

٥ ـ الشريعة: تظهر لفظة الشريعة بمعنى أشمل من المعاني السابقة؛ فهي تشتمل على الدين وشرائعه، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، وهي السُّنَّة؛ لأنه يستنّ بطريقة من قبله من الأنبياء (عليهم السلام)(٤).

وبالنسبة لما يتعلق بلفظة الجماعة فإنها تأتي أيضًا بمعان عديدة، ومنها:

١ـ **الجماعة في اللغة:** تدل لفظة الجماعة على الاجتماع، والاجتماع ضد التفرق، والإجماع: هو الاتفاق على أمر من الأمور، وهو أيضا الاجتماع على الحق، وعدم التفرق؛ فقد أتى في الحديث: «الجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالفِرْقَةُ عَذَابٌ»(٥)، ويتم

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص ٢٢٥.
(٢) الرازي، تفسير الرازي، ج٢١، ص٣٨١.
(٣) طاهر الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ج١، ص٤٠.
(٤) الماوردي، النكت والعيون تفسير الماوردي، ج٥، ص٢٦٤.
(٥) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج٢، ص ٢٧٢، ح٦٦٧.

إطلاق لفظة الجماعة على العدد الكبير من الناس، وتطلق أيضًا على طائفة من الناس يجمعهم غرض واحد، مثل: الصلاة في المسجد تعتبر جماعة، ويمكن إطلاقها أيضًا على غير الناس، فقيل: جماعة الشجر، وجماعة النبات(١).

٢ـ الجماعة تطلق على الصحابة (رضي الله عنهم): لأنهم الذين شيدوا عماد الدين، وأرسوا أوتاده، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلًا، وقد يمكن فيمن سواهم ذلك(٢)، أي الإخلال بأصل من أصول الدين، وهم أيضًا أئمة الهدى، وأهل العلم، ويدخل معهم كل من كان إمامًا للهدى، وعالمًا، ولهذا الأمر نجد البخاري قال في صحيحه: "باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وما أمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم"(٣).

٣ـ ويتم إطلاق مصطلح الجماعة على أهل الحل والعقد: وقد أشار العلماء إلى هذا المعنى فقالوا: هم أهل الحل والعقد في كل عصر(٤)، وأهل الحل والعقد هم: ولاة الأمر، والعلماء، وأعيان المجتمع من أصحاب الرأي المعتبر، فإذا اجتمعوا على أمر وجب متابعتهم، وعدم الخروج عليهم.

وعلى ما تقدم من معان لهاتين المفردتين (أهل السُّنَّة والجماعة)، يظهر أن تعريف مصطلح السُّنَّة والجماعة لا يكاد يخرج عن تبك المعاني، ويتبين أيضا أنهم "سموا بذلك لانتسابهم لسنة النبي (صلى الله عليه وسلم)، والاجتماع على الأخذ بها ظاهرًا، وباطنًا، وفي القول، والعمل، والاعتقاد"(٥).

(١) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج١، ص٣٤٧.
(٢) الشاطبي، الاعتصام، ج٢، ص٧٧٢.
(٣) البخاري، الصحيح، ص١٣٢٨.
(٤) الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، ج١، ص١٩٦.
(٥) الحمد، عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة مفهومها، خصائصها، خصائص أهلها، ص١٦ ـ ١٧.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مصطلح السُّنَّة قد تنازعته جميع الفرق والمذاهب الفقهية والكلامية، فكل فرقة أو مذهب يطلقه على نفسه، ولكن بعد البحث والمدارسة يظهر أن هذا المصطلح يطلق من منطلقين: عام وخاص، فالعام مقابل التبعية يدخل فيه الكثير من الفرق، وأما الخاص فيدخل فيه أهل الاتباع، وهم أهل السُّنَّة والجماعة المعرفين[1].

(١) موسى، نشأة الأشعرية وتطورها، ص١٥.

المبحث الثالث

النشأة والتحولات

ونستخلص من ذلك وجود فرق بين نشأة التسمية، ونشأة أهل السُّنَّة والجماعة، فأهل السُّنَّة والجماعة هم "الصحابة (رضي الله عنهم)، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين -رحمة الله عليهم-، ثم أصحاب الحديث، ومن اتبعهم من الفقهاء جيلًا فجيلًا إلى يومنا هذا"(١).

وبناءً على ذلك يظهر أن مذهب أهل السُّنَّة والجماعة كان مقترنًا بنزول الوحي، ولذلك قال ابن تيمية: "ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة مذهب قديم معروفقبل أن يخلق الله أبا حنيفة، ومالكًا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعًا عند أهل السُّنَّة والجماعة"(٢).

واستنادًا إلى ما سبق ذكره يتبين أن نشأة أهل السُّنَّة والجماعة متقدمة على نشأة التسمية؛ حيث إن هذا المصطلح لم يظهر إلّا بعد ظهور وتعدد الفرق، ومن البديهي أن يكون لأهل السُّنَّة ما يميزهم عن غيرهم؛ فتم إطلاق هذا المصطلح عليهم، وقد اشْتُهِر الإمام أحمد بن حنبل بإمامة أهل السُّنَّة؛ لأنه صبر في المحنة، ولم ينفرد أو يبتدع قولًا، بلك أن متبعًا للسنة ؛ وبطبيعة الحال يتبادر إلى الذهن سؤالٌ: هل هذا المصطلح موجودٌ قبل الإمام أحمد بن حنبل، وإجابته هي: نعم هذا المصطلح وجدَ في العصر الإسلامي المبكر، فهذا ابن عباس (رضي الله عنه) يفسر قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، فيقول: تبيض وجوه أهل السُّنَّة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدع والضلالة(٣)، مما يعد دليلًا واضحًا على أن هذا المصطلح غير محدث؛ لأن ابن عباس (رضي الله عنهما) ترجمان القرآن(٤)،

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص٩٠.
(٢) ابن تيمية، منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ج٢، ص٦٠١.
(٣) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٧٢٩.
(٤) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص٦١٨ ، ح ٦٢٩١، قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

ومن البديهي أن ابن حنبل يمثل نقطة تحول مهمة في تاريخ المذهب السُّنِّي نتيجة لمواقفه العظيمة، وبناء على ذلك أُطلِق عليه إمام أهل السُّنَّة والجماعة.

ويظهر من مطالعة المصنفات التاريخية أن مصطلح السُّنَّة يعد مصطلحاً دينيّاً، ويتبين أيضاً أنه مرَّ بمراحل عديدة، ففي العصر الإسلامي المبكر كان عامًّا يدخل فيه جميع المسلمين، ولكن في أواخر العصر الراشدي؛ ونتيجة للفتن أصبح خاصًّا ويطلق على من اتَّبَع سنة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وسنة الخلفاء الراشدين، ومن اتَّبَعهم، ومن أبرز سمات المذهب السني اعتماده على الوحيين: القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية، في أصوله وفروعه، مع اجتهاد العلماء وقياسهم في بعض مسائلهم؛ ولهذا نجد الاختلاف بينهم في المسائل الفرعية.

وعلى صعيد آخر يتبين من مطالعة الأحداث التاريخية أن من المراحل التي مرت بها المناظرات هي أنها بدأت بهدف إقناع الفرق الأخرى بصحة المعتقد، وبدأت تلك المناظرات في عصر الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)، فهذا ابن عباس (رضي الله عنهما) يناظر الخوارج[1] في مسألة خروجهم على الإمام، ومن جهة أخرى روي أن الحسن (رضي الله عنه) ناظر قدريًّا[2] فرجع عن القدر، وناظر علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) رجلًا من القدرية، وناظر عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) يزيد بن عميرة[3] في الإيمان[4]، وبطبيعة الحال استمرت تلك المناظراتفي العصور اللاحقة، حتى عصرنا الحاضر.

والجدير بالذكر أنه إبان تلك الظروف الواقعة في عصر الخلافة الراشدة، ونتيجة لظهور الفرق الأخرى، وقد اتخذت مواقف سياسية من الأحداث التي عصفت بالمسلمين في ذلك الوقت، أصبح المذهب السُّنِّ اتجاهًا سياسيًّا يمثل جماعة

(١) الخوارج: عرفهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بأنهم: قومٌ يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد. البخاري، الصحيح، ص٦١١، ح٣٣٤٤.

(٢) القدرية: هم الذين يزعمون أن كل عبدٍ خالقٌ لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى. الجرجاني، التعريفات، ص١٧٤.

(٣) يزيد بن عميرة: الزبيدي، الكلبى، الشامي، روى عن: معاذ بن جبل، وقدم الكوفة فسمع من: ابن مسعود، روى عنه: أبو إدريس الخولاني، وشهر بن حوشب، وأبو قلابة. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٩، ٣٦٤.

(٤) الغزالي، قواعد العقائد، ص٩٦ـ٩٧.

من التابعين له ذلك فضلًا عن كونه مذهبًا دينيًّا، ولعل من المناسب الإشارة إلى العوامل الرئيسة التي ساهمت في نشوء الفكر السياسي السني، ويمكن إجمالها في ثلاثة عوامل هي:

١- علاقة الفقهاء بالخلافة الأموية (٤١ ـ١٣٢هـ/٦٦١ ـ٧٥٠م) والعباسية.

٢- وعلاقة الفقهاء بحركات المعارضة من الخوارج، والشيعة.

٣- وعلاقة الفقهاء أيضًا بالكتاب الذين مثلوا أفكارًا سياسية كانت سائدة في المنطقة قبل مجيء الإسلام(١).

وتجدر الإشارة هنا إلى استمرارية الجدال والصراع مع الاتجاهات الفكرية الأخرى، مما كان له أثره المباشر في تكوين العلاقة مع تلك الاتجاهات، فمذهب أهل السُّنَّةيرى أن تلك الاتجاهات مخالفة لما جاء به الإسلام الحنيف، وأنه هو من يمثل صورة الإسلام الصحيح دون غيره من المذاهب أو الاتجاهات الفكرية، ويتضح ذلك في عبد القاهر البغدادي(٢) حيث يرى أن أهل السُّنَّة هم "أصحاب الدين القويم والصراط المستقيم، ثبتهم الله تعالى بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة"(٣).

(١) سوي، تطور الفكر السياسي عند أهل السُّنَّة، فترة التكوين: من بدايته حتى الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، ص٨٣.

(٢) عبد القاهر البغدادي: ابن طاهر بن محمد التميمي، أبو منصور، برز في الفقه وأصوله والفرائض والحساب وعلم الكلام. اشتهر اسمه وبعد صيته وحمل عنه العلم أكثر أهل خراسان، وتوفي سنة ٤٢٩هـ. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج٥، ص١٣٦ ـ١٤٥.

(٣) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، ص٣٠٣.

المبحث الرابع

موقف أهل السنة من تنصيب الإمام

تعد الخلافةُ والإمامةُ كلمتين مترادفتين لا فرق بينهما في المعني، ولهذا فابن خلدون جمع بين المصطلحين في تعريفه بقوله: "نيابة عن صاحب الشّريعة في حفظ الدّين وسياسة الدّنيا، به تسمّى خلافة وإمامة والقائم به خليفة وإمامًا، فأمّا تسميته إمامًا فتشبيها بإمام الصّلاة في اتّباعه والاقتداء به؛ ولهذا يقال: الإمامة الكبرى، وأمّا تسميته خليفة فلكونه يخلف النّبيّ في أمّته، فيقال: خليفة بإطلاق وخليفة رسول الله"(١)، من أجل ذلك تغدو الخلافةُ أو الإمامةُ مصطلحاً يميل إليه كل اتجاه فكري، وهي من أهم المبادئ التي قامت عليها الاتجاهات الفكرية المخالفة للاتجاه الفكري السني، وستبين الدراسة موقف كل اتجاه من هذا الأمر، ولذلك تقف الدراسة على استخدام المصطلحين عند بيان الاتجاهات الفكرية، وكل اتجاه له منطلق ينطلق منه، ومرتكز يرتكز عليه في عقيدته، ويرى كل اتجاه فكري أنه هو الصحيح، ومن يخالفه الرأي من الاتجاهات الفكرية الأخرى فهو ضال مضل.

ويُعدُّ تنصيب الإمام أو الخليفة للأمة الإسلامية عند الاتجاه السني واجباً وضرورةً حتميةً، لكن العلماء اختلفوا في سبب وجوبها، هل الوجوب بالعقل، أو الشرع؟ وانقسموا في ذلك إلى قولين: الأول يؤكد أنها تجب بالعقل لما في طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم، ويفصل بينهم في التنازع والتخاصم، ولولا الولاة لكانوا في فوضى مهملين، وهمجًا مضاعين، وأما القول الثاني: فيرى أنها وجبت بالشرع دون العقل؛ لأن الإمام يقوم بأمور شرعية قدكان مجوزًا في العقل أن لا يرد التعبد بها، فلم يكن العقل موجبا لها، وإنما أوجب العقل أن يمنع كل واحد نفسه من العقلاء عن التظالم والتقاطع، ويأخذ بمقتضى العدل في التناصف والتواصل، فيتدبر بعقله لا بعقل غيره، ولكن جاء الشرع بتفويض الأمور إلى

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ١: ٢٣٩.

وليه في الدين، ففرض علينا طاعة أولي الأمر فينا، وهم الأئمة المتآمّرون علينا[١]، ويشترط في الخليفة أن يكون "مسلمًا، وحرًا، وذكرًا، وبالغًا، قادرًا [وهذا متفق عليه عندهم، واختلفوا في كونه] قرشيًّا، ولا يشترط كونه هاشميًا علويًا، ـ أي: من أولاد علي كما قال به بعض الشيعة ـ، معصومًا كما قالت الإمامية، والإسماعيلية، ويكره تقليد الفاسق، ويعزل بالفسق إلا لفتنة، ويجب أن يدعى له بالصلاح، وتصح الإمامة بأحد أمور ثلاثة: اختيار أهل الحل والعقد، والوراثة (الإمامة بالعهد)، والغلبة والقهر للضرورة، بلا مبايعة أهل الحل والعقد" [٢].

وقد أدى اختلف علماء أهل السنة في سبب الحكم بوجوب الإمامة عقلا كان أو شرعا، إلى اختلافهم أيضا في تصنيف الإمامة علميا، هل هي تندرج تحت علم العقيدة أم أنها باب من أبواب الفقه؟ فأكد البعض أنها تدرس في فروع العقيدة، حيث بيان قدر الخلاقة ووجوب طاعة ولي الأمر وعدم الخروج عليه، ومن ذلك قول ابن تيمية في العقيدة الواسطية: " ويرون [أي أهل السنة] إقامة الحج والجهاد، والجمع، والأعياد، مع الأمراء- أبرارًا كانوا أو فجارًا..." [٣]، وهذا ما أكده الإمام الطحاوي في عقيدته قائلًا: " ولا نرى الخروج على أئمّتنا ووُلاة أُمورنا، وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عزّوجلّ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة"[٤]. وممن عدها من أبواب الفقه الإمام الماوردي الذي أفرد في مصنفه (الحاوي الكبير) مبحثًا كاملًا عن الأحكام السلطانية قائلًا: " ولما كانت الأحكام السلطانية بولاة الأمور أحق، وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم عن تصفحها مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير، أفردت لها كتابًا"[٥] والملاحظ أن مبحث الخلافة يصح دراسته عقيدةً وفقهًا، لكنه

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ١٥ ـ١٦.
(٢) الزُّحَيْلِيّ، الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ، ٢: ١١٩٢.
(٣) ابن تيمية، العقيدة الواسطية، ١٢٩.
(٤) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية،٢: ٥٤٠.
(٥) الماوردي، الأحكام السلطانية، ١٢.

في العقيدة يجيء موجزًا، أما في الفقه فيأتي مبحث الخلافة مفصلًا، والشاهد على ذلك كتب العقيدة والفقه، كما أنه قد أفرد هذا المبحث بالتصنيف والدراسة لدى بعض علماء أهل السنة؛ منهم: – الأحكام السلطانية: لأبي يعلى محمد بن الحسين الفراء، وغياث الأمم في التياث الظُّلَم: لإمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية:لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

المبحث الخامس

هل عين الرسول (صلى الله عليه وسلم) خليفة

يتبادر إلى الأذهان سؤال مهم عن الخلافة والخلفاء (رضي الله عنهم)، ألا وهو هل عيَّن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أو غيره أحدًا من الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) بالخلافة؟ فهذا السؤال من القضايا التي تناولتها مصادر الدراسة وتنازعتها الاتجاهات الفكرية، وقد تفاوت موقف الاتجاهات الفكرية من هذه القضية؛ فمنهم من يرى تعيين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لخليفة بعينه ومنهم من نفى ذلك، ولهذا السبب تعددت المشارب والاتجاهات الفكرية حيال تلك القضية، تميز موقف السُّنِّي بعدم الانحياز لخليفة معين، فهما يران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُعيّن خليفة بعينه، وسوف تحاول الدراسة أن تعطي إلماحة مختصرة عن كيفية تولي كل خليفة من الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم).

أولًا: خلافة أبي بكر (رضي الله عنه):

يمثل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صورة القائد الملهم لجميع المسلمين فيستمدون منه قوتهم الإيمانية، ولم يكن المسلمون يرون أو يتصورون غير ذلك، ولهذا السبب كان لوفاته (صلى الله عليه وسلم) الأثر الأعظم في المجتمع الإسلامي، وكان ذلك لبنة للتحول السياسي، وقد اختلفت الآراء لكل اتجاه فكري بالنسبة لقضية استخلاف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لأحد الصحابة، فمنهم من يرى أنه لم يستخلف أحدًا، ومنهم من يرى أن هناك خليفة، وهذه القضية من القضايا التي تجاذبتها الاتجاهات الفكرية، ويتفاوت موقفها منها؛ فمنهم من يرى استخلاف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لخليفة بعينه ومنهم من نفى ذلك، ولهذا السبب تعددت المشارب حيال تلك القضية، وأثرت تأثيرا جليًا في الأحداث السياسية التي لازال يتردد صداها حتى هذا اليوم، فأهل السنة يذهبون إلى أن النبي (صلى الله

عليه وسلم)، ولم يستخلف أحدًا من بعده[١]، ويدل على ذلك اجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة[٢]؛ لبحث الأمر؛ لأنهم لو كان لهم علم باستخلاف الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأحد لبايعوه، ولن يرضوا بغيره خليفة، وتم مناقشة الأمر، لم تستغرق وقتًا طويلًا، وإذ أشار أحد الباحثين إلى أنها لم تستغرق نصف ساعة في ظاهرها[٣]؛ بناء على رواية البخاري[٤]، وهذا الحدث على الرغم من أهميته السياسية؛ إلا أنه انتقل بيسر وسهولة.

ثانيًا: خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه):

أثارت قضية خلافة عمر (رضي الله عنه) حفيظة الاتجاهات الفكرية، وتعد هذه القضية من الموضوعات التي لها أهمية كبرى في تاريخ الخلافة، وأيضًا قضية استخلاف أبي بكر لعمر وقد تفاوت موقف الاتجاهات الفكرية من هذه القضية، فكل اتجاه ذهب إلى ما يتوافق اتجاهه،وسوف نتناول في السطور القادمة تلك القضية التي باتت محط أنظار جميع الاتجاهات الفكرية تجاه هذا الموضوع، وذهب السنة إلى استخلاف أبي بكر (رضي الله عنه) لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما شعر بدنو أجله، بعد مشاورة الصحابة (رضي الله عنهم)؛ فكان الاتفاق عليه، وهناك رواية لطلحة (رضي الله عنه) تذكر شدة عمر[٥]؛ ولكن هذه الرواية ضعيفة الإسناد[٦].

ثالثًا: خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه):

امتاز نظام الخلافة الراشدة بتحولات عديدة في طريقة الاستخلاف، فقد اختلفت طريقة البيعة لكل خليفة عن غيره، إذ اختلفت طريقة استخلاف أبي بكر

(١) الشال، أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره.. نماذج من عصر الخلافة الراشدة، ٢١٩.
(٢) سقيفة بني ساعدة: بالمدينة المنورة، وهي ظلة كانوا يجلسون تحتها، وبنو ساعدة حيّ من الأنصار، وهي بجوار بضاعة في الشمال الغربي من المسجد النبوي، وفيها حديقة. الحموي، معجم البلدان، ٣: ٢٢٨؛ م شُرَّاب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة،١٤١.
(٣) الخميس، حقبة من التاريخ، ٢٧.
(٤) البخاري، الصحيح، ٦٦٨، ١٢٣٨، ح : ٣٦٦٨، ٦٨٣٠.
(٥) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٣: ٤٣٣.
(٦) الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، ٦: ٨٠، ح: ١٦٤٢.

(رضي الله عنه) عن طريقة استخلاف عمر (رضي الله عنه)، أما ما يتعلق بخلافة عثمان بن عفان فقد كانت لبيعته أسلوب ونظام آخر، وقد تفاوت موقف الاتجاهات الفكرية من هذه القضية، فجعل عمر (رضي الله عنه) الخلافة في ستة من الصحابة بعد طعنه، وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)، ويكون عبدالله بن عمر معهم، وليس له في الأمر شيء (رضي الله عنه)، وتعدّدت الروايات في المصادر السُّنية، والصواب ما ورد في صحيح البخاري فتمت بيعة عثمان (رضي الله عنه)[1].

رابعًا: خلافة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه):

تعد هذه الخلافة من القضايا التي سردتها مصادر الدراسة، وناقشتها الاتجاهات الفكرية أكثر من غيرها من القضايا، فهناك اتجاهات فكرية ترى أن عليًّا (كرم الله وجهه) هو الخليفة وصاحب الأمر بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومن جهة أخرى هناك اتجاهات فكرية ترى خلاف ذلك، لذلك فمن البديهي أن تستحوذ هذه القضية على اهتمامات الاتجاهات الفكرية بين مؤيد ومعارض، يذكر السنة أنه لما اُستشهد عثمان (رضي الله عنه)، أتى الناس إلى عليّ (كرم الله وجهه)، وعرضوا عليه الخلافة فرفضها، وقال: "أكون وزيرًا لكم خيرًا من أمير عليكم" ـ لو كان علي (كرم الله وجهه) يعلم أن له حقًّا في الخلافة لم يرفضها ـ فأبى الناس عليه، فقال لهم: "إن بيعتي لا تكون سرًّا"، وخرج إلى المسجد؛ فبايعه الناس[2].

(١) إذ عمر (رضي الله عنه) أشار إلى هؤلاء الستة، وذكر سبب وجود ابن عمر معهم (رضي الله عنه) كهيئة التعزية له، ثم وجّه عمر النصح لهم، فلما دُفن (رضي الله عنه) اجتمعوا، فقال عبد الرحمن بن عوف: "اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم"، فتنازل الزبير لعلي (رضي الله عنهما)، وتنازل طلحة لعثمان، وتنازل سعد لعبد الرحمن (رضي الله عنه)؛ فقال عبد الرحمن (رضي الله عنه): "أيكما تبرّأ من هذا الأمر، فنجعله إليه"، فسكت عثمان وعلي (رضي الله عنهما) فقال عبدالرحمن (رضي الله عنه): "أفتجعلونه إليَّ، والله عليّ ألا آلو عن أفضلكم؟" قالا: "نعم"، ثم أخذ منهما الميثاق على مبايعة من يتم ترشيحه، وقام عبدالرحمن بن عوف (رضي الله عنه) بما يشبه الانتخابات، إن صح التعبير، فلم يجد أحدًا يختلف على تقديم عثمان (رضي الله عنه)؛ فقال: "ارفع يدك، يا عثمان" فبايعه، فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه (رضي الله عنه). البخاري، الصحيح، ٦٧٤، ١٣٠٥، ح: ٣٧٠٠، ٧٢٠٧.

(٢) ابن حنبل، فضائل الصحابة، ٢: ٥٧٣، ح: ٩٦٩.

خامسًا: خلافة الحسن بن علي (رضي الله عنهما):

عندما يمعن النظر جيدًا في قضية خلافة الحسن بن عليٍّ ڤ نجد أنها احتوت الكثير من الجدل والنقاش والأخذ والرد بالنسبة للاتجاهات الفكرية، لاسيما تنازله لمعاوية عن الخلافة، وبهذا التنازل تمت الخلافة الراشدة ثلاثين عاما، وكان لتنازله هذا صدى لدى الاتجاهات الفكرية بين مؤيد لهذا التنازل، وبين معارض، ويذكر الاتجاه السني أنه لما طُعن علي (كرم الله وجهه) جاءه الناس لاستخلاف ابنه الحسن (رضي الله عنه)، فقال لهم: "لا آمركم، ولا أنهاكم، أنتم أبصر؛ ولكن أدعكم كما تركككم الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فإن يرد الله بكم خيرًا يجمعكم على خيركم، كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)".وبعد وفاة علي (كرم الله وجهه) بُويع للحسن بن علي (رضي الله عنهما) بالخلافة[1].

المبحث السادس

العلاقات الاجتماعية

عندما نمعن النظر في العلاقات الاجتماعية نجد انقسامها إلى نوعين: الأول حب ووئام، والثاني عداء وكره، والجدير بالذكر هنا أن الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) كانت لهم علاقات اجتماعية مع آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إذ تمثلت تلك العلاقات الاجتماعية التي نشأت بين آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الثلاثة (رضي الله عنهم) علاقات مصاهرة، فضلًا عن علاقة الحاكم بالمحكوم، وقد تناولت الاتجاهات الفكرية تلك العلاقات من منظورها الفكري الذي تتبنّاه، وفي هذا المبحث تحاول الدراسة الوقوف على أبرز تلك القضايا، وبحثها، والتّعرّف على نوع العلاقة القائمة بينهم (رضي الله عنهم) من خلال تلك الاتجاهات الفكرية، وسوف تحول الدراسة إبراز تلك العلاقة بين الخلفاء الثلاثة، وآل البيت (رضي الله عنهم).

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١١: ١٥، ١٣١.

أولًا: عائشة وحفصة (رضي الله عنهن) زوجتا الرسول (صلى الله عليه وسلم):

كان من ضمن العلاقات الاجتماعية بين الخلفاء الراشدين وآل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إبان هذه الفترة هي زواجهما ﷺ من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والبيت النبوي، وعلاقتهما بعلِيٍّ (كرم الله وجهه)، والاتجاه السني يقر كما في مصادره المتواترة أن عائشة بنت أبي بكر (رضي الله عنهما)، وحفصة بنت عمر (رضي الله عنهما) زوجتا الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الدنيا، وهن أزواجه في الجنة، وهذه علاقة مصاهرة، وحب متبادل بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) [1].

ثانيًا: زواج بنات الرسول (صلى الله عليه وسلم):

من القضايا التي اهتمت بها الاتجاهات الفكرية قضية زواج بنات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من عثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب ﷺ وقد تنوعت آراء الاتجاهات الفكرية حيال قضية زواج بنات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ونسبهن (رضي الله عنهن) إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فتزوّج الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) من بنات الرسول (صلى الله عليه وسلم)، فأما زواج علي من فاطمة (رضي الله عنهما) فمتفق عليه بين كآفة الاتجاهات الفكرية، بينما زواج عثمان من رقية ثم من أم كلثوم (رضي الله عنهم) فكان للاتجاه الشيعي آراء فيه؛ فالسُّنِّي يرون هذا الزواج منقبة لعثمان (رضي الله عنه)، إذ لم يُعرف أحد جمع بين بنتي نبي غيره (رضي الله عنه)، فقد تزوّج رقية، ثم- بعد وفاتها- تزوّج بأم كلثوم (رضي الله عنها)؛ لذا لُقّب بذي النورين.

ثالثًا: عمر صهر علي (رضي الله عنهما):

مما لا شك فيه أن قضية مصاهرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لعلي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) في الزواج من ابنته أم كلثوم، وكيفية المصاهرة من

(١) البخاري، الصحيح، ٤٤٦ـ٤٤٧، ح: ٢٤٦٨؛ الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، ١: ٥٢٥، ح: ٢٧٠٤.

القضايا التي تناولتها الاتجاهات الفكرية، وكانت مثار جدل فكري بين تلك الاتجاهات، وقد تحدثت في هذا الموضوع المصادر العلمية المختلفة بين مؤكدٍ لذلك الزواج وبين نافٍ له، فيشير مصادر الاتجاه السني إلى أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) تزوّج بأمٍ كلثوم بنت علي (رضي الله عنهما)، ابنة فاطمة (رضي الله عنها) [١].

رابعًا: علاقة علي بن أبي طالب بالخلفاء (رضي الله عنهم):

تعد قضية علاقة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) بالخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)، من القضايا التي ناقشتها الاتجاهات الفكرية، فتلك القضية تبين حجم العلاقة المتبادلة بين الخلفاء الثلاثة (رضي الله عنهم)، وأضحى كل اتجاه فكري يبرز تلك القضية وفق توجهه الفكري؛ ولهذا السبب زخرت مصنفات الاتجاهات بتوضيح وبيان هذه العلاقة، ودور علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) إبّانَ خلافتهم، فالمصنفات السنية تبين مدى العلاقة بينهم، فهي علاقة ودّ وتقدير وتفضيل، وقد أعانهم وساعدهم في القيام بأعباء الدولة الإسلامية، والدفاع عنهم[٢].

خامسًا: علاقة فاطمة بأبي بكر (رضي الله عنهما):

من القضايا المهمة التي ناقشتها الاتجاهات الفكرية وتناولتها بالبحث والتمحيص علاقة فاطمة بأبي بكر ڤ وقد تناولتها المصادر باتجاهات عديدة وآراء شتى، وذلك من خلال أمرين هما: ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي طالبت به أبي بكر (رضي الله عنه)، والصلاة عليها ڤ من قِبَلِ أبي بكر (رضي الله عنه)، وأخذ كل اتجاه فكري يفسر تلك العلاقة وفق ما ذهبت إليه مصادره، وما يعتقد صحته، فأصبح هناك العديد من الآراء حيال تلك القضية، وورد في صحيح البخاري رواية- اعتمدت عليها الاتجاهات الفكرية المختلفة- أن فاطمة أتت أبا بكر (رضي الله عنهما) تطلب ميراثها من فَدك[٣]، فأخبرها أبو بكر (رضي الله عنه)

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠: ٤٨.

(٢) البخاري، الصحيح، ٦٦٩، ح٣٦٧١؛ الطبري؛ تاريخ الرسل والملوك، ٣: ٣٧٩، ٤٨١؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠: ٢٨٦.

(٣) فدك: قرية بالحجاز، أفاءها الله على رسوله (صلى الله عليه وسلم) في سنة سبع صلحًا، وهي شرقي خيبر على وادٍ يذهب سيله مشرقًا إلى وادي الرمة، تُعرف اليوم بالحائط. الحموي، معجم البلدان، ٤: ٢٣٨؛ البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ٢٣٥.

بحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه لا يُورّث وما ترك فهو صدقة[١].

وحاول العلماء والباحثون دراسة هذا الحديث، ومحاولة توجيهه، وأشار أحد الباحثين إلى أن لفظة "فوجدت" مُدرجة في الحديث، وأما لفظة "لم تكلّمه" فتحتمل معنيين، الأول: أي هجرته، والثاني: أي لم تكلمه في المال، وهذا الظن بها ڤ. وتحتمل لفظة "هجرته" معنين: الأول: الهجر المعروف وهو مُحرّم، ولا يُظنّ ذلك منها، والثاني: والذي قال به العلماء هجر الانقباض عن لقائه، والاجتماع به، وهذا له وجهة نظر؛ لانشغالها بحزنها، ثم مرضها، ومما يدلّ على عدم هجرها زيارة أبي بكر (رضي الله عنه) لها في مرضها. وتعني لفظة "لم يُؤذن بها أبا بكر" – والله وأعلم– أنه لم يُبلّغ، فلما علم أمَّ المصلين عليها، كذا عند ابن سعد، أما البخاري ومسلم فيريان أن عليًّا (كرم الله وجهه) هو الذي صلّى عليها، إذًا فالخلاف على من أمَّ المصلين، ولا تدلّ رواية البخاري ومسلم على عدم حضور أبي بكر الصلاة، فهذا – والله أعلم– يدلّ على أن أبا بكر صلى عليها ڤ. سواء أكان إمامًا أم مأمومًا، وهذا هو التوجيه الأقرب للصحة؛ لما عُلم عنهم (رضي الله عنهم) من سيرهم[٢].

(١) البخاري، الصحيح، ٧٦٦، ح٤٢٤٠.

(٢) محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ٨: ٢٤؛ البخاري، الصحيح، ٧٦٦، ح:٤٢٤٠؛ مسلم، الصحيح، ٦٧٧ ـ ٦٧٩، ح:٤٥٨٠؛ ابن حجر، فتح الباري، ٦: ٢٤٢ ـ ٢٤٣؛ ٧: ٦١٨؛ عثمان محمد الخميس، قابله أسامة خضر، برنامج من القلب إلى القلب، قناة صفا، ٦ أبريل ٢٠٠٩م، https://m.youtube.com/watch?v=NnQ4688gVYY.

المبحث السابع

موقف أهل السُّنَّة والجماعة من الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)

تشير الروايات التاريخية إلى أن أهل السُّنَّة يعتقدون في أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة (رضي الله عنهم)، وأفضل الصحابة هم الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم)، وأفضل الخلفاء الراشدين هما أبو بكر وعمر ﷺ، وقد اختلفوا في المفاضلة بين عثمان وعلي ﷺ، وقد ذكر ذلك ابن عمر (رضي الله عنهما)، قائلًا: (كنا نخير بين الناس في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان (رضي الله عنه)[١]، والجدير بالذكر أن عليًا (كرم الله وجهه) كان يفضل أبا بكر، وعمر ﷺ،فعن محمد بن الحنفية، قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قال: أبو بكر (رضي الله عنه)، قلت: ثم مَن؟ قال: ثم عمر (رضي الله عنه)، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: (ما أنا إلّا رجل من المسلمين)[٢].

وفي هذا الإطار قال ابن تيمية رحمه الله في حكم من قَدَّمَ عليَّ بن أبي طالب على عثمان بن عفان ﷺ: "استقر أمر أهل السُّنَّة على: تقديم عثمان (رضي الله عنه)، ثم علي (كرم الله وجهه)، وإن كانت هذه المسألة ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السُّنَّة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها: مسألة الخلافة، وذلك بأنهم يؤمنون: بأن الخليفة بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي (رضي الله عنهما)، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة؛ فهو أضل من حمار أهله"[٣].

ومن زاوية أخرى يقول الفوزان معلقًا على كلام ابن تيمية: "والحاصل في مسألة تقديم عليٍّ على غيره من الخلفاء الثلاثة (رضي الله عنهم): من قدمه في

(١) البخاري، الصحيح، ص٦٦٦، ح٣٦٥٥.
(٢) البخاري، الصحيح، ص٦٦٩، ح٣٦٧١.
(٣) ابن تيمية، العقيدة الواسطية، ص١١٧ – ١١٨.

الخلافة فهو ضال بالاتفاق، ومن قدمه في الفضيلة على أبي بكر وعمرؓ فهو ضال أيضًا، ومن قدمه على عثمان (رضي الله عنه) في الفضيلة فلا يضلل، وإن كان هذا خلافَ الراجح"[1].

ونتيجة لما تقدم يظهر جليًّا موقف أهل السُّنَّة والجماعة من الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)، حيث يُجِلُّونَهُم وينزلونهم منازلهم (رضي الله عنهم)، ويتقربون إلى الله بمحبتهم (رضي الله عنهم)، ويشهدون بأفضليتهم بحسب توليهم الخلافة، وهذا على الرغم من المسألةالخلافية المشهورة بين الخليفتين عثمان وعليٍّ (رضي الله عنهما).

(١) الفوزان، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٩٣.

خاتمـــة

وبعد هذا العرض السابق، خَلُصَت الدراسة إلى:

- سبب تسمية أهل السُّنَّة والجماعة بهذا الاسم، يظهر مما تقدم ذكره في هذا البحث،أنهم سموا بذلك لإتباعهم آثار النبي (صلى الله عليه وسلم) والاجتماع على الأخذ بها ظاهرًا وباطنًا، قولًا، وعملًا، واعتقادًا، وإتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.
- تنازعت الاتجاهات الفكرية وجميع الفرق مصطلح السُّنَّة إبّان هذا القرن، وأخذت كل فرقة تُطلقه على نفسها، واستنادا لما سبق ذكره؛فإن هذا المصطلح يطلق بمعنيين: المعنى العام، والمعنى الخاص؛ أولًا: المعنى العام، ويطلق مقابلًا للاتجاه الفكري الشيعي، وعليه يدخل الكثير من الفرق المذهبية، ثانيًا: المعنى الخاص، ويشمل بهذا المعنى أهل الإتباع، وهم أهل السُّنَّة والجماعة المعروفون.
- تقدمت نشأة أهل السُّنَّة والجماعة على نشأة التسمية نفسها، حيث إن هذا المصطلح الفكري لم يظهر إلا بعد ظهور الفرق وتعددها، وكان من الأهمية بمكان وجود ما يميز أهل السُّنَّة عن غيرهم من المبتدعة؛ فتم إطلاق ذلك "اللفظ" عليهم.
- إن التيار الفكري السُّنِّي والأصل الذي انحرفت عنه بقية التيارات الفكرية، ونتيجة لظهور الميول الفكرية المعارضة له نشأت المناظرات،وقد كانت تلك المناظرات نقطة تحول في نمو وتقدم الاتجاه الفكري السني، وهدفت تلك المناظرات إلى إقناع الاتجاهات الفكرية الأخرى بصحة معتقده الفكري،وبدأت تلك المناظرات في عصر الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم).
- ويظهر جليا موقف أهل السُّنَّة والجماعة من الخلفاء الراشدين، فقد كان موقف إعزاز وإجلال، وقد أنزلوهم منازلهم، وجعلوا من حبهم قربة إلى الله، وهذا رغم وجود مسألة خلافية بين عثمان وعليٍّ (رضي الله عنهما).

- ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحب والتقدير بين الخلفاء الراشدين وآل البيت (رضي الله عنهم).

التوصيات:

١/ الاقتداء بالخلفاء الراشدين.

٢/ مناهضة الاتجاهات الفكرية المنحرفة.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الآمدي، علي بن أبي علي الثعلبي (المتوفى: ٦٣١هـ).الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، بيروت/ دمشق: المكتب الإسلامي.

٣. البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (المتوفى: ٢٥٦هـ).الصحيح، ضبط النص: محمود محمد محمود حسن نصار، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١٤٣٤،٧هـ/ ٢٠١٣م.

٤. ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (المتوفى: ٧٢٨هـ). العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السُّنَّة والجماعة، تحقيق: أشرف بن عبد المقصود، الرياض: أضواء السلف، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٥. مجموع الفتاوى. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد. المدينة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٦. منهاج السُّنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٧. الجرجاني: علي بن محمد بن علي (المتوفى: ٨١٦هـ).التعريفات، وضع حواشيه وفهارسه: محمد السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢ ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م.

٨. ابن جماعة، محمد بن إبراهيم (ت: ٧٣٣هـ).إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل. تحقيق: وهبي سليمان. مصر: دار السلام للطباعة والنشر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٩. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: ٣٩٣هـ).الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط٤. بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

١٠. ابن أبي حاتم: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي (المتوفى: ٣٢٧هـ) تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٤١٩هـ.

١١. الجرح والتعديل، تحقيق: مصطي عبدالقادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠١٠م.

١٢. ابن حجر،أحمد بن علي (ت: ٨٥٢هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٣. ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ).الفصل في الملل والأهواء والنحل، القاهرة: مكتبة الخانجي، د، ت.

١٤. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ).معجم البلدان. بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م.

١٥. ابن حنبل، أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ). فضائل الصحابة. تحقيق: وصي الله محمد عباس. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

١٦. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ).ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. تحقيق: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٧. الخميس، عثمان محمد.حقبة من التاريخ. ط٢. الشارقة: مكتبة الصحابة، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٨. الرازي: محمد بن عمر بن الحسن التيمي (المتوفى: ٦٠٦هـ).تفسير الرازي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠ه.

١٩. السبكي: عبد الوهاب بن تقي الدين (المتوفى: ٧٧١هـ).طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، مصر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٢٠. ابن سعد، محمد بن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢١. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف (ت: ٧٥٦هـ).عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ. تحقيق: محمد باسل. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٢٢. ابن سيده: علي بن إسماعيل(المتوفى: ٤٥٨هـ).المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.

٢٣. الشاطبي: إبراهيم بن موسى الغرناطي (المتوفى: ٧٩٠هـ).الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، السعودية: دار ابن عفان، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

٢٤. شراب، محمد بن محمد(ت:٢٠١٣م). المعالم الأثيرة في السنة والسيرة. دمشق/بيروت: دار القلم/الدار الشامية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٢٥. الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ).تاريخ الرسل والملوك. ط٢. بيروت: دار التراث، ١٣٨٧هـ.

٢٦. الغزالي: حامد محمد الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ).قواعد العقائد، تحقيق: موسى محمد علي، بيروت: عالم الكتب، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٢٧. ابن أبي العز الحنفي، علي بن محمد (٧٩٢هـ). شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد الله بن المحسن التركي، ط١٠. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٢٨. عبد القاهر البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي (المتوفى: ٤٢٩هـ).الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٩٧٧م.

٢٩. ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ).البداية والنهاية. تحقيق: عبد الله التركي. مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣٠. الماوردي: علي بن محمد البصري البغدادي (المتوفى: ٤٥٠هـ). الأحكام السلطانية. القاهرة: دار الحديث.

٣١. النكت والعيون تفسير الماوردي، راجعه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية/ مؤسسة الكتب الثقافية، د، ت.

٣٢. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفي: ٢٦١هـ). الصحيح، اعتنى به: هيثم الطعيمي، بيروت: المكتبة العصرية، د، ١٤١٣هـ/٢٠١٣م.

٣٣. ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ).

٣٤. لسان العرب، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

المراجع العربية:

١. أسود، محمد عبدالرزاق. الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة النبوية في مصر والشام. دمشق: دار الكلم الطيب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢. الألباني: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح(المتوفى: ١٤٢٠هـ). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. إشراف: زهير الشاويش، ط٢. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٤. صحيح الجامع الصغير وزياداته. ط٣. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥. البلادي، عاتق بن غيث (ت: ١٤٣١هـ). معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. مكة: دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢م.

٦. الحمد: محمد بن إبراهيم. عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة مفهومها، خصائصها، خصائص أهلها، تقديم: عبدالعزيز ابن باز، الرياض: دار ابن خزيمة، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٧. الزحيلي، وهبة بن مصطفى(ت:١٤٣٦هـ). الفقه الإسلامي وأدلته. ط٢. الرياض: أضواء السلف، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٨. سوي: خير الدين يوجه.تطور الفكر السياسي عند أهل السُّنَّة، فترة التكوين: من بدايته حتى الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، أشراف: عبدالعزيز الدوري، عمان: دار البشير، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٩. الشال، أحمد خليل، أثر الوضع في رواية التاريخ وتفسيره. نماذج من عصر الخلافة الراشدة. بورسعيد: مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٦م.

١٠. طاهر الجزائري: طاهر بن صالح الدمشقي (المتوفى: ١٣٣٨هـ).توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١١. عبد الحميد، أحمد مختار؛ بمساعدة فريق عمل. معجم اللغة العربية المعاصرة. القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨ م.

١٢. الفوزان: صالح بن فوزان بن عبد الله.شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، د، ت.

١٣. موسى: جلال محمد.نشأة الأشعرية وتطورها، بيروت: دار الكتاب اللبناني، د، ١٩٨١م.

الرسائل العلمية:

١. بافع، علي بن حسين. «اتجاهات كتابة السيرة النبوية في العراق خلال القرن الرابع عشر الهجري». رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٣٣هـ-١٤٣٤هـ.

المقابلات الشخصية المذاعة:

- الخميس، عثمان محمد، قابله أسامة خضر، برنامج من القلب إلى القلب، قناة صفا، ٦ أبريل ٢٠٠٩م، https://m.youtube.com/watch?v=NnQ4688gVYY